

العقيدة الأثرية: أسلفية أم حنبلية (؟!)

قال شيخ الإسلام - رحمه الله -: "ومذهب أهل السنة والجماعة مذهب قديم معروف قبل أن يخلق الله أبا حنيفة ومالكًا والشافعي..... وأحمد، فإنه مذهب الصحابة الذين تلقوه عن نبيهم، ومن خالف ذلك كان مبتدعًا عند أهل السنة والجماعة.."1.

فـ (العقيدة الأثرية = عقيدة سلفية) تلقاها أهل الحق عن السلف الصالح - رضي الله عنهم -، ولم تؤخذ عن فلان أو علان (؟!)، كما قال الإمام ابن تيمية - رحمه الله - في معرض مناظرته في أمر الاعتقاد: "أما الاعتقاد فلا يؤخذ عنِّي، ولا عمن هو أكبر مني، بل يؤخذ عن الله تعالى ورسوله - صلى الله عليه وسلم - وما أجمع عليه سلف الأمة، فما كان في القرآن وجب اعتقاده، وكذلك ما ثبت في الأحاديث الصحيحة مثل صحيح البخاري ومسلم"2.

وقد أورد أناس شبهة على عقيدة السلف الصالح قد تلتبس على الكثيرين، وهي أن بعض العلماء انتسبوا في اعتقادهم

إلى الإمام أحمد - رحمه الله -؛ وعليه قالوا: أن العقيدة السلفية التي تدَّعونها هي: (عقيدة الحنابلة التي تخصهم دون غيرهم)؟..!!

فنقول جوابا: صحيح أنه من أهل العلم من انتسب إلى الإمام أحمد - رحمه الله - في العقيدة؛ ومنهم على سبيل المثال: السلطان محمد بن عبد الله العلوي - رحمه الله - حيث قال في بداية كتابه (مواهب المنان بما يتأكد على المعلمين تعليمه للصبيان)3 :" قال عبد الله المتوكل على الله المعتصم بالله أمير المؤمنين محمد بن عبد الله بن مولانا إسماعيل الحسني المالكي مذهبا، (الحنبلي اعتقادا) الله وليه ومولاه"

بل قبل ذلك نجد أبا الحسن الأشعري - رحمه الله - لما أعلن رجوعه إلى عقيدة السلف الصالح4 في كتابه الإبانة 5 يقول :" قولنا الذي نقول به، وديانتنا التي ندين بها، التمسك بكتاب الله ربنا - عز وجل -، وبسنة نبينا محمد - صلى الله عليه وسلم - ، وما روي عن السادة الصحابة والتابعين وأئمة الحديث، ونحن بذلك معتصمون، و(بما كان يقول به أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل - نضر الله وجهه ورفع درجته وأجزل مثوبته -) قائلون، ولما خالف قوله مخالفون؛ لأنه الإمام الفاضل، والرئيس الكامل، الذي أبان الله به الحق، ودفع به الضلال، وأوضح به المنهاج، وقمع به بدع المبتدعين، وزيع الزائغين، وشك الشاكين، فرحمة الله عليه من إمام مقدم، وجليل معظم، وكبير مفهم."

والسر في هذا الانتساب أنه مرت في التاريخ مرحلة اشتهر فيها الحنابلة باتباع السنة في العقيدة أكثر من غيرهم 6، فإنهم كانوا على ما كان عليه السلف الصالح، فأصبح لقب "الحنابلة" وصفا لازما لأهل السنة والحديث في بعض الأزمنة 7، ومما يؤكد ذلك أن هذا اللقب أطلق في سياقات مقابل ذكر بعض الفرق الكلامية، فيقال مثلا: الحنابلة والمعتزلة 8...

وهذا يرجع لكون الإمام أحمد - رحمه الله - قد أظهر من السنة التي اتفق عليها العلماء الأعلام قبله أكثر مما أظهروه للحاجة إلى ذلك وقت وقوع المحنة، لا لأنه - رحمه الله - قد اختص بأمر لم يقله الأئمة قبله، فتأمل وبالعلم تجمل.

قال شيخ الإسلام – رحمه الله - :" .. ما زال كثير من أئمة الطوائف الفقهاء وأهل الحديث والصوفية وإن كانوا في فروع الشريعة متبعين بعض أئمة المسلمين - رضي الله عنهم أجمعين - فإنهم يقولون نحن في الأصول أو في السنة على مذهب أحمد بن حنبل 9 لا يقولون ذلك لاختصاص أحمد بقول لم يقله الأئمة، ولا طعنًا في غيره من الأئمة بمخالفة السنة؛ بل لأنه أظهر من السنة التي اتفقت عليها الأئمة قبله أكثر مما أظهروه فظهر تأثير ذلك لوقوعه وقت الحاجة إليه، وظهور المخالفين للسنة، وقلة أنصار الحق وأعوانه .."10.

وقال كذلك - رحمه الله - :" .. الاعتقاد إنما أُضيف إلى أحمد لأنه أظهره وبيَّنه عند ظهور البدع، وإلا فهو كتاب الله وسنة رسوله، حظ أحمد منه كحظ غيره من السلف: معرفته والإيمان به، وتبليغه والذب عنه، كما قال بعض أكابر الشيوخ: (الاعتقاد لمالك والشافعي ونحوهما من الأئمة، والظهور لأحمد بن حنبل) .."11.

وقال أيضا - رحمه الله - :" .. وأحمد بن حنبل، وإن كان قد اشتهر بإمامة السنة والصبر في المحنة، فليس ذلك لأنه انفرد بقول، أو ابتدع قولاً، بل لأن السنة التي كانت موجودة معروفة قبله علمها ودعا إليها وصبر على من امتحنه ليفارقها، وكان الأئمة قبله قد ماتوا قبل المحنة ...، فصار إمامًا من أئمة السنة، وعلمًا من أعلامها، لقيامه بإعلامها وإظهارها، واطِّلاعه على نصوصها وآثارها، وبيانه لخفيِّ أسرارها، لا لأنه أحدث مقالة أو ابتدع رأيا، ولهذا قال بعض شيوخ المغرب: (المذهب لمالك والشافعي، والظهور لأحمد) 12؛ يعني أن مذاهب الأئمة في الأصول مذهب واحد 13، وهو كما قال "14.

لكن هل يحسن استخدام لقب الحنابلة (مطلقا)، والتعبير به عن عقيدة أهل السنة والحديث (في كل زمان ومكان)؟!

الذي يظهر على مقتضى (النظر المنهجي)؟!، ومراعاة لـ (صنيع أهل العلم)؟!، أنه لا يحسن لأمور:

أولا : باعتبار " غلبة الاستعمال "، حيث أن مفهوم هذا اللقب صار ألصق بالفروع والأحكام العملية، فإذا أطلق انصرف إلى مذهب الإمام أحمد - رحمه الله - في الفروع.

ثانيا : لأنه (من) الحنابلة من لم يلتزم بعقيدة أهل السنة والحديث، فيخشى (إطلاق) هذا اللقب على غِرار ما كان في وقت من الأوقات فيقع المحذور في عقيدة بعض الناس(؟!).

ثالثا : من باب (سد الذريعة)، حتى لا يفهم أن "العقيدة السلفية" ما هي إلا مقررات خاصة - عموما - بالحنابلة (؟!)، أو أن باقي الأئمة الأعلام على غير الجادة في باب الاعتقاد.(!!)

رابعا : أن هذا اللقب يختلف عن بقية ألقاب أهل السنة والحديث، فهي عامة مطلقة، ولا ترتبط بشخص، وهذا هو (الأصل) المعتبر في هذه الألقاب المُمُيزة لأهل الحق(؟!)، بخلاف لقب (الحنابلة) إذا (أطلق) في كل زمان ومكان بقصد تقرير أمر الاعتقاد فتأمل.

وعليه فـ (العقيدة الأثرية = عقيدة سلفية)، أساسها (الفهم السلفي) لأمور الاعتقاد خصوصا، هذا الفهم المتمثل في : "

فهم الصحابة - رضي الله عنهم - المنقول بواسطة المحدثين رواية ودراية "، مما يستدعي تقييد هذا الفهم بـ (نهج أئمة الحديث والسنة) ليصح الانتساب إلى السلف الصالح حقيقة، خاصة أن مفهوم السلف والسلفية تثار حوله نزاعات حيث كل جهة تنتسب إلى السلف الصالح(؟!)، أو تدعي أنها لا تخالف منهج السلف في العقيدة خاصة، فالعقيدة السلفية موصولة بالسلف الصالح انتسابا واكتسابا، و " ليست من فهم ابن عبد الوهاب 15، أو ابن تيمية، أو ابن حنبل، وإنما هي عقيدة تلقاها الصحابة - رضي الله عنهم - من صاحب الشريعة المصطفى - صلى الله عليه وسلم -، ونقلوها إلى التابعين، والتابعون نقلوها إلى أتباعهم، وهم نقلوها ودونوها، وهكذا تتابع أئمة السلف - رحمهم الله تعالى - " 16.

....

.1منهاج السنة 601/2.

.2الفتاوي 180/3.

.3ص: 25، من مطبوعات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية المغربية1417هـ/1996م ، وانظر : "طبق الأرطاب فيما اقتطفناه من مساند الأئمة وكتب مشاهير المالكية والإمام الحطاب" له كذلك - رحمه الله -، ص: 225، من مطبوعات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية المغربية 1420هـ /1999م.

.4وهو رجوع (مجمل) على التحقيق..

.5ص : 43.

.6وذِكر بعض المراجع أنه في أزمنة لم يبق متمسكا بعقيدة السلف الصالح إلا (الحنابلة)؟! فحسب غير صحيح..، أنظر : (العقيدة السلفية والرد على المنحرفين عنها للطيب بن عمر بن الحسين الجكيني ص : 32/ حاشية: 1).

.7وقد ذهب بعضهم إلى أن ما نُقل عن أبي إسماعيل الهروي - رحمه الله – عند قوله ناظما:

أنا حنبلي ما حييت وإن أمت **** فوصيتي للناس أن يتحنبلوا

يقصد به مجال (العقيدة) ، لا باب (الفروع والأحكام العملية) ؟!. أنظر : (ألقاب أهل السنة والجماعة للدكتور سليمان بن محمد الدبيجي ص: 766-776).

.8أنظر : الحجة في بيان المحجة للإمام أبي القاسم

الأصبهاني - رحمه الله - 429/1، و 357/1.

.9قال شيخ الإسلام - رحمه الله - :" .. وأئمة السنة ليسوا مثل أئمة البدعة، فإن أئمة السنة تُضاف السنة إليهم لأنهم مظاهر بهم ظهرت، وأئمة البدعة تُضاف إليهم لأنهم مصادر عنهم صدرت .." درء تعارض العقل والنقل) 5/6-5.(

.10بيان تلبيس الجهمية 91/2.

.11درء التعارض 5/5.

12.وقال - رحمه الله - في الفتاوي 170/3:" .. فالأمر كما قاله بعض شيوخ المغاربة - العلماء الصلحاء - قال : المذهب لمالك والشافعي، والظهور لأحمد بن حنبل."

13.أنصح - في هذا الصدد - بقراءة كتاب : (أصول الدين عند الأئمة الأربعة واحدة) للدكتور ناصر القفاري - حفظه الله -، و (اعتقاد الأئمة الأربعة) للدكتور محمد بن عبد الرحمن الخميس - حفظه الله. -

14.منهاج السنة 601/2- 606.

15.قال العلامة ابن باديس - رحمه الله - في آثاره 32/5 :"
قام الشيخ محمد بن عبد الوهاب بدعوة دينية، فتبعه عليها قوم فلقبوا بـ : (الوهابيين)!!. لم يدع إلى مذهب مستقل في الفقه، فإن أتباعه النجديين كانوا قبله ولا زالوا إلى الآن بعده حنبليين، يدرسون الفقه في كتب الحنابلة، و(لم يدع إلى مذهب مستقل في العقائد)، فإن أتباعه كانوا قبله ولا زالوا إلى الآن (سنيين سلفيين).."..

16.(تاريخ تدوين العقيدة السلفية) للشيخ الدكتور عبد السلام بن برجس العبد الكريم - رحمه الله - ص: 13، وأنصح بقراءة

هذا الكتاب المتين لأنه يكشف عن صلة العقيدة السلفية بالقرون الأولى، وأن سلسلة هذه العقيدة (الفطرية) المباركة غير منقطعة والحمد لله رب العالمين.

كتبه:

أبو أويس رشيد بن أحمد الإدريسي الحسني

عامله الله بلطفه الخفي وكرمه الوفي